

في نور محمد فاطمة الزهراء

وأبى أن يطمس عقله، ويهوّن على نفسه هذا الهوان، فإن هو إلاّ - أن حانت فرصة حتّى انطلق إلى محمد بداره، يسمع منه، فيعلم أأوهموه أم صدقوه. قال له: يا محمد، إنّ قومك ما برحوا يخوّنونني أمرك حتّى سددتْ أُذنيّ - بكُرسُف[664] لئلاّ أسمع قولك، ثم أبى إلاّ أن يسمعني، فسمعت قولاً حسناً، فاعرض عليّ - أمرك[665]. ذلك أن المصادفة ساقته مرّة إلى المسجد ومحمد يصلّي ويتلو بعض آيات القرآن، فتذوّق فيها - بحسّه الشعاري - حلاوة لم يذق مثلها في غيره من كلام تردّد على ألسنة عمالقة الشعراء وأعلام البلاغة والبيان، وأقبل على الرسول يصغي بكلّ سمعه إلى سرّ ما وقع بينه وبين قريش من خلاف، ثم أقبل بكلّ عقله يتفهّم معنى الإسلام، ثم أقبل بكلّ كيانه يتحسّس ما يتلى عليه من قرآن. فما أن سكت محمد، حتّى أحسّ الطُفَيل أنّه لا يكاد يجد لجسمه ثقلاً، كأنّما تحوّل إلى نور، وأشرفت عيناه، وفاض دمه وهو ينطق كلمة الإيمان، ثم قال: يا نبي الله، إنّني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام. ولم يفلح كيد الكفّار. * * * وبمثل ما استقبل المشركون الطُفَيل، درجوا على استقبال كلّ وافد إلى البلدة الحرام. نزل مكة من أزدشنوءة «ضمّاد» الأزدي، فأسرع إليه سفهاء قريش يقصدّون بين يديه العيب في محمد، والإزراء عليه، ما انّسعت لهم لغة القدح والهجاء، لعلّهم ينفّرونه منه، ويباعدون بينه وبين الدعوة الإسلامية أن تروقه، فيبلّغها قومه، وتكون الطامّة.